



Kharazmi University

STUDIES IN ARABIC NARRATOLOGY

PRINT ISSN: 2676-7740



The Function of Narrator: A Study of *Al-Tantouria* Based on Gerard Genette's Narrative Theory

Nasrin Abbasi: nasrinabasi10@yahoo.com
PhD of Arabic Language and Literature Bu-Ali Sina University, Hamadan, I.R.Iran

Salahaddin Abdi s.abdi@basu.ac.ir (Corresponding Author)
Lecturer Professor of Arabic Language and Literature, Bu-Ali Sina University, Hamadan, I.R.Iran

Abstract

The analysis and examination of the function of narrator in a literary text plays an important role in reading it from a new point of view. Gerard Genette, the French narrative structuralist, has theorized the role and function of narrator(s) in literary texts. Radwa Ashour's historical novel, *Al-Tantouria* (2010) in which the author utilizes different narrative techniques, is a good case study from a Genettian point of view. In the novel, the author utilizes different intradiegetic narrative forms: observer narrator, I-as-protagonist, I-as-witness, and second-person narrator. In the novel, due to the first-person narrator lack of knowledge, the author takes advantage of the observer narrator to fill the mentioned gap. The novel, due to its temporal fragmentation in describing events as well as the limited first-person narrator, has been studied from a variety of narrative point of views. In the course of the novel, I-as-witness and second-person narrators narrate events and actions from their point view as the author-narrator narrates the story in the absence of the protagonist. In the novel, monologues are addressed to intradiegetic audience, and therefore are dramatized. Drawing on Genette's narratology theory and adopting a descriptive-analytical method, this article examines different dimensions of the narrative in *Al-Tantouria* as well as their role in the production of meaning. The analysis and examination of the function of narrator in a literary text plays an important role in reading it from a new point of view. Gerard Genette, the French narrative structuralist, has theorized the role and function of narrator(s) in literary texts. Radwa Ashour's historical novel, *Al-Tantouria* (2010) in which the author utilizes different narrative techniques, is a good case study from a Genettian point of view. In the novel, the author utilizes different intradiegetic narrative forms: observer narrator, I-as-protagonist, I-as-witness, and second-person narrator. In the novel, due to the first-person narrator lack of knowledge, the author takes advantage of the observer narrator to fill the mentioned gap. The novel, due to its temporal fragmentation in describing events as well as the limited first-person narrator, has been studied from a variety of narrative point of views. In the course of the

novel, I-as-witness and second-person narrators narrate events and actions from their point view as the author-narrator narrates the story in the absence of the protagonist. In the novel, monologues are addressed to intradiegetic audience, and therefore are dramatized. Drawing on Genette's narratology theory and adopting a descriptive-analytical method, this article examines different dimensions of the narrative in Al-Tantouria as well as their role in the production of meaning.

keywords: Genette, Narrator, novel, Altantouria, Radwa Ashour, Arabic Narratology

Citation: Abbasi, N., Abdi, S. Autumn & Winter (2019-2020). The Function of Narrator: A Study of Al-Tantouria Based on Gerard Genette's Narrative Theory. *Studies in Arabic Narratology*, 1(1), 129-155. (In Arabic)

Studies in Arabic Narratology, Autumn & Winter (2019-2020), Vol. 1, No.1, pp. 129-155

Received: January 11, 2020 Accepted: February 8, 2020

©Faculty of Literature & Humanities, University of Kharazmi and Iranian Association of Arabic Language & Literature.



دراسات في السردانية العربية

الرقم الدولي الموحد للطباعة: ٢٦٧٦-٧٧٤٠



جامعة الخوزستان

وظيفة السارد في الرواية على ضوء نظرية جيرار جينت السردية (رواية الطنطورية لرضوى عاشور نموذجاً)

nasrinabasi10@yahoo.com

البريد الإلكتروني:

نسرین عباسی

خريجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها من جامعة بوعلي سينا بهمدان

s.abdi@basu.ac.ir

البريد الإلكتروني:

صلاح الدين عبيدي

الأستاذ المشارك في اللغة العربية وآدابها، جامعة بوعلي سينا بهمدان (الكاتب المسؤول)

الإحالة: عباسي، نسرین؛ عبيدي، صلاح الدين خريف وشتاء (٢٠١٩-٢٠٢٠). وظيفة السارد في الرواية على ضوء نظرية جيرار جينت السردية؛ رواية الطنطورية لرضوى عاشور نموذجاً. دراسات في السردانية العربية، (١)١، ١٢٩-١٥٥.

دراسات في السردانية العربية، خريف وشتاء ٢٠١٩-٢٠٢٠، السنة ١، العدد ١، صص. ١٢٩-١٥٥.

تاريخ القبول: ٢٠٢٠/٢/٨

تاريخ الوصول: ٢٠٢٠/١/١١

© كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الخوزستان والجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها.

الملخص

تُعد دراسة السارد وتحليله مؤشراً هاماً لفهم طريقة تقديم وشكله الأحداث السردية بطريقة تؤدي إلى إنشاء معنى جديد للمخاطب. يمثل جيرار جينت من المنظرين البنيويين حيث درس السارد وأنواعه علمياً وهادفاً. تعتبر رواية الطنطورية التاريخية للكاتبة المصرية المعاصرة رضوى عاشور اختياراً جيداً للدراسات السردية بسبب اختيارها لشتى التقنيات السردية. تستخدم الكاتبة مجموعة متنوعة من الساردين

داخل القصة (الساردة المراقبة ، الأنا البطلة ، الأنا الشاهدة، السارد الضمني والسارد بضمير الخطاب). وتتخذ الكاتبة في هذه الرواية الساردة المراقبة لأنّ تسدّ الفراغ المعرفي بدلاً من الأنا المروية بسبب معرفتها المحدودة أيضاً، فإنّ الفجوة الزمنية في التعامل مع الأحداث والقيود المفروضة على تصور السارد (السارد بضمير المتكلم/ الأنا المروية) جعلتا أن يسرد الرواية الساردون المختلفون؛ منهم الأنا الشاهدة والسارد بضمير الخطاب يمارسان بسرد أحداث الرواية من منظورهما، كما يسرد الرواية السارد الضمني في غياب بطل الرواية.. نظراً لأنّ المونولوج في هذه الرواية يحتوي على المروي له داخل القصة، بناءً على هذا يتجسّد المونولوج بصورة المونولوج المسرحي. يستهدف البحث متخذاً منهج الوصفي التحليلي على ضوء نظرية جيرار جينيت إلى دراسة الأبعاد والوضع المعرفي للسارد في رواية الطنطورية للوصول إلى توفير فهم لعناصرها، وساحة للاكتشاف والحدس، وطريقة لإنتاج المعنى من نصه.

الكلمات الدلالية: السردانية العربية، رضوى عاشور، جينيت، الطنطورية، السارد داخل القصة، المعرفة الناقصة للسارد.

أولاً- المقدمة

السرد هو تسجيل الأحداث في قلب الزمن. لحظات من الوقت يتم سردها في إطار الكلمات لإنشاء الأحداث في كائن آخر، ومع إنشاء ولادة السرد، يتم إنشاء الوقت الضائع من جديد بهوية جديدة وحديثة. السرد لا يجعل حكاية القصص ممكناً فحسب، بل هو طريقة توضيحية لفهم الحياة. (عاشور، ١٣٨٦: ٢٥٦). يرتبط سرد الأحداث وكتابته بثلاثة أشياء: "الأول هو العلاقة مع الواقع الخارجي، الذي له من حيث المبدأ سماته وظروفه التاريخية والاجتماعية الخاصة لهما، والثاني، علاقة مع اللغة ويكوّن خلفها، التراث الأدبي والثقافي، تمّ الدخول فيه ومن خلاله وثالثاً، فيما يتعلق بصناعة الكتابة والخبرات المكتسبة في الممارسة اليومية «(المصدر نفسه). وبالتالي، يستفيد الكُتّاب البارعيّن من القابليات اللامحدودة وقدرات المفردات على تصور تجاربهم الثقافية والحياتية، مما يجعل حياة المفردات موضوعية وغير ملموسة، والسرد هو الطريقة الأكثر واقعية لترسيم تجربة الحياة، وفهم المعرفة السردية يجعلها ممتعة لفهمها.

يُعد جيرار جينت أحد علماء البنيوية الذين عالجوا السرد عن قصد وعمد. يتعامل في دراساته الروائية، مع المقولات الثلاثة الزمان والصيغة وصوت السارد. فيسعى هذا البحث إلى دراسة وظيفة السارد وأنواعه في رواية "الطنطورية" التي كتبها رضوى عاشور بناءً على وجهة نظر جينت، وإن كان اهتمَّ البحث في مجال السرد بضمير الخطاب بوجهات نظر منطري مثل دليكونت.

١-١- تعريف للمسألة وأسئلة البحث.

يعتبر السارد أحد العناصر الرئيسة في خلق نص سردي. وفي كل رواية يوجد "صوت" يتحدث ومن خلاله تصل القصة إلى القارئ. إنَّ الكاتب (الروائي) حرٌّ في اختيار الأحداث مع أمط سرديّة مثل التوسيع والضغط والتكثيف والحذف واللعب مع الوقت. ويخفي أو يكشف الأفكار بأية طريقة يشاء. لذلك، في الأدب السردية، هناك الساردون المختلفون يروون للقراء المختلفين. في روايات المقاومة، تتسم طريقة اختيار السارد بأهمية كبيرة لأنها لا تُروى الأحداث فحسب، بل تعكس معاناة أمته ومثابرته وفشله وانتصاراتها كالمراة. يسعى البحث مع التركيز على رواية "الطنطورية" التي كتبها رضوى عاشور، إلى توفير فهم مفصل للسارد عن سنوات الهزيمة الفلسطينية من أجل تعريف المخاطب بكيفية عمل المؤلفة عن وظيفة السارد وطرق إنتاج المعنى.

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة التالية: ١- ما هي أنواع وظائف السارد في الرواية؟ ٢. مَنْ هو السارد في هذه الرواية، وما هو نطاق معلوماته؟ كيف ينعكس صوت السارد في الرواية؟

٢-١- أهداف البحث :

١. معرفة تقنيات رضوى عاشور السردية على أساس نظرية جيرار جينت. ٢. فهم كيفية براعة رضوي عاشور في استخدام الساردين في القصة لتقديم أحداث ملموسة وحقيقتها والسد للفراغ المعرفي الحاصل بوساطة خبرة الساردة القليلة بالحياة ومعرفة الأنا المروية.

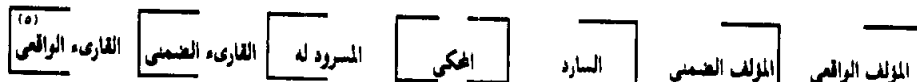
٣-١- الدراسات السابقة وضرورة البحث:

يمكن الإشارة إلى بحوث تمَّ على ضوء نظرية جينت منها «بررسی وتحليل دو مولفه‌ی صدای راوی و کانونی‌شدگی در شاهزده احتجاب» بقلم كاظم دزفوليان وفواد مولودي (١٣٩٠) ووصل البحث الى نتيجة مفادها أنَّ جمالية التقنية السردية لهذه الرواية ترجع إلى حد كبير إلى

من ثمّ لا توجد رواية ما من دونه» ويجسم المعايير التي تقوم على أساسها أحكام قيمة ويقوم بإخفاء فكر الشخصية وإعلانها وفي النهاية ينتقي الكلام المباشر وغير المباشر وبين النظم التاريخي للأحداث ومخالفة الزمن لها» (تودوروف، ١٣٨٢: ٧١-٧٢).

يتناول جينت مكانة السارد في الرواية معبّراً عن عنصر بؤرة الرواية ويكون أساس هذا الأمر تواجد السارد وعدم تواجده في العالم القصصي (مشاركة السارد في العالم القصصي وعدمها). تقسيم جيرار جينت عن وضع السارد بمستواه السردية (داخل القصة أو خارج القصة) بعلاقته بالقصة (غيري القصة أو مثلي القصة) في آن واحد يشتمل على الأنماط الأربعة الأساسية: «١- السارد خارج القصة- غيري القصة ونموذجه: هوميروس، سارد من الدرجة الأولى يروي قصة هو غائب عنها؛ ٢- السارد خارج القصة- مثلي القصة ونموذجه: جيل بلا، سارد من الدرجة الأولى يروي قصته الخاصة؛ ٣- السارد داخل القصة- غيري القصة، ونموذجه: شهرزاد، ساردة من الدرجة الثانية تروي قصصاً هي غائبة عنها؛ ٤- السارد داخل القصة- مثلي القصة، ونموذجه عوليس في الأناشيد، سارد من الدرجة الثانية يروي قصته الخاصّة به» (جينت، ١٩٨٧: ٢٥٨). أكد جينت على أنّ الحد بين خارج القصة وداخل القصة في السرد هو تجربة السارد في مكانة الشخصية

جيرار جينت علاوة على دراسة مكانة السارد وأنماط القصة على أساس تواجد السارد وغيبته عن القصة يتناول مجالاً آخر عن ساردية القصة ويعالجه في ثلاثة مستويات وهي ١- روايات داخل القصة (السارد بضمير المتكلم)، ٢- روايات خارج القصة (السارد بضمير الغائب)، ٣- السارد خارج القصة (السارد بضمير المخاطب) (المصدر نفسه).



هذا الرسم يوضح لنا موقع السارد من وجهة نظر جينت (الحجمري، ١٩٩٣: ١٤٧)

هذا الجدول يعبر عن نية المؤلف الذي يسرد المحكي إما أن يكون فيه السارد غائباً عن الحكاية التي يحكيها وهو براني الحكى والمحكى الذي يكون فيه السارد حاضراً من حيث هو شخصيته وهو جواني الحكى وبذلك تتعدد تنويعات السارد على امتداد المحكي بغية خلق عالم روائي

تخييلي، يغير و يفضح الموقع الذي يحتله هذا المؤلف الواقعي (الحجمي، ١٩٩٣: ١٧٤ وزيتوني، ٢٠٠٢: ١٢١).

٢-١-١- السارد الداخلي (Internal narrator) يتناول جيران جينت في السارد الداخلي إليالسارد بضمير المتكلم (أنا).

الف) السارد بضمير المتكلم (أنا) (First-person narrator): السارد بضمير المتكلم (أنا) له أنماط وهي إما أن يكون مجرد مستمع وشاهد لحادثة فرعية أو له دور رئيسي ورؤيته السردية تشمل على النوعين وهما الرؤية السردية الداخلية (Internal of view) والرؤية السردية الخارجية (External of view) (ميرصادقي، ١٣٨٢: ٣٠٢) يظهر السارد بضمير المتكلم (أنا) في الروايات الإستراتيجية نحو رواية الطنطورية بالصورتين: ١- السارد الذي له وظيفة الرواية (السارد الشاهد) و ٢- السارد الذي يكون حاضراً من حيث هو الشخصية؛ يرجع من ثم ضمير المتكلم (أنا) إلى السارد وإلى إحدى الشخصيات الفاعلة في الحكيم والسارد بضمير المتكلم (أنا) له أنماط كما تلي:

١- أنا البطل (The Narrator As Hero): الرؤية السردية بضمير المتكلم (أنا) وهي تعتمد على نظرة متناغمة للبطل، بمعنى أن معرفة السارد والشخصية الفاعلة في الحكيم متماثلة وتعلب الشخصية الرئيسة في الحكيم مهمة تقديم الآخرين ورواية الأحداث. (مرتاض، ١٩٩٨: ١٦٠؛ حمداني، ١٩٩١: ٤٨-٤٧).

٢- أنا الشاهد (observer narrator): في هذا النوع من السرد، يشبه السارد عيناً للقارئ لما حدث في مجاله البصري والسمعي. ومع ذلك، فإن الراوي، كمراقب للأحداث، يتواجد في النص (أيوب، ٢٠٠١: ١٢٣).

٣- أنا كالمؤلف الضمني (implied author): «الذات الثانية للمؤلف ما نعيد بناءها من النص؛ الصورة الضمنية للمؤلف في النص الذي يكمّن خلف المشاهد والمسؤولية عن تصميمه (النص) وعن القيم والمعايير الثقافية التي يحملها» (برنس، ٢٠٠٣: ٩١). وهذا الضمير يحل محل المؤلف وقد يكون له البؤرة السردية المفتوحة أو المغلقة (اخوت، ١٣٧١: ١٠٦).

٤) أنا المونولوج (Monologue): التحدُّث من جانب شخص واحد قد يكون أو لا يكون لديه المروري له (ميرصادقي، ٥٠٧١٣٨٢). المونولوج هو جزء من الهيكل العام للرواية أو يشتمل على الرواية بأكملها. (المصدر نفسه) والمونولوج ينقسم إلى نوعين وهما هو المونولوج التمثيلي والمونولوج الداخلي.

٢-١-٢- السارد خارج القصة (أو الحكوي) (External narrator): يتعامل جينت مع السارد بضمير الخطاب (أنت) والسارد بضمير الغائب (هو) في قسم الراوي خارج الحكوي (السارد العليم ، السارد المعرفة العامة المحدودة) (العليم المحاييد، أسلوب السرد الموضوعي). لم نأت في هذه الدراسة، نظراً لعدم توافق السارد بضمير الخطاب مع رواية الطنطورية، تجنباً للإغراق والمبالغة الف) السارد بضمير الخطاب (A second person narrator): هناك العديد من التعريفات حول السارد بضمير الخطاب، وأشهرها تعريف دليكونت Delconte ويذهب إلى أن في هذا النوع من السرد: "يروى السارد قصة لمروي له (افتراضي في بعض الأحيان) يحمل علامة "أنت"، يرى أن هذا المروري له هو أيضاً الممثل الرئيسي للحكي (Delconte, 2003: 207). تلقى السارد بضمير الخطاب اهتماماً أقل من الأنواع الأخرى، كما مرّ.

يقسّم جينت السارد إلى السارد الداخلي (جواني الحكوي) والسارد الخارجي (براني الحكوي)، والسارد في النوع الأول هو السارد من الشخصيات الفاعلة في الحكوي (السارد بضمير المتكلم) وفي النوع الثاني، وليس السارد حاضراً باعتباره شخصية في الحكاية (السارد بضمير الغائب) (جنت، ١٩٨٧، ١٣٣).

أصبح من الواضح من هذا التقسيم أن جينت صنّف السرد بضمير الخطاب على أنه بسيط وناذر، ويمثله في روايات خارج الحكوي نحو السرد بضمير الغائب والمنفصل عن عالم الخيال والحكي.

لا يُعدّ على عكس رؤيته، منظرون مثل فليودرنيك ودليكونت، السارد بضمير الخطاب في عداد الساردين المعروفين لأنه لا يدلّ مثل السارد بضمير الغائب ولا بضمير المتكلم. ويذهبان إلى أنّ السارد بضمير الخطاب لديه اختلافات جوهرية مع صيغ السرد الأخرى، وأهمها أنّ السرد بضمير الخطاب يقوم على "الخطاب" وهو موجه للمروي له وليس مُركّزاً على السارد (Delconte, 2003: 204).

٥٧ فصلاً. رضوى عاشور أهدت الرواية إلى زوجها، مريد البرغوثي، تبدأ الرواية باللقاء العرضي بين رقية (البطلة) ويحيى على شاطئ البحر، يليه وصف لأحداث سقوط حيفا ويافا ورام الله وطنطورية، مع سقوط المدن الفلسطينية واحدة تلو الأخرى. الرواية تقرّر الهجرة إلى لبنان، والوضع في لبنان لا يحلو لها، وهناك صراع واشتباكات، حيث أُستشهد زوج الرواية، وغادرت بيروت بإصرار ابن الرواية إلى أبوظبي، تغادر الرواية مع أسرتها إلى مصر بعد فترة من الوقت لمواصلة دراسة مريم (ابنة الرواية) في فرع الطب وتعودون إلى بيروت مرة أخرى بعد تخرُّج مريم.

رابعاً- دراسة السارد ووظيفته في رواية الطنطورية

تجدر الإشارة إلى أن السارد بضمير المتكلم في هذه الرواية يظهر بطريقتين؛ في البداية، رقية، وهي امرأة ناضجة في ست وستين من عمرها، وهي الساردة العليمة بالأحداث وتفاصيلها تنظر إلى القصة لسنوات عديدة بعد الأحداث مستدعاة من حفريات الذاكرة عبر مختلف الرؤيات السردية، وثانياً، رقية، فتاة صغيرة تبدأ بسرد الأحداث في ثلاثة عشر- من عمرها، ولأنها تقع في سن الأحداث والطفولة وهي المرويّة والساردة، فهي لديها معرفة محدودة وفهم قليلة فلا يوجد الكثير من القدرة والعلم لديها. ومع أنها تسرد معظم الرواية، ويأتي ساردون آخرون (أنا الشاهد، وأنا المؤلف الضمني، والسارد المراقب، وما إلى ذلك) لمساعدتهم لخلق عالم من السرد. وهكذا، يمكن أن يطلق على الرقية البالغة من العمر ٦٦ عاماً اسم الساردة المراقبة ورقية القاصرة الساردة المرويّة أو الساردة المشاركة. وتتداخل في أجزاء من الرواية، الساردة المراقبة في عملية سرد "أنا المرويّة". أختارت رضوى عاشور (الروائية) أسلوباً روائياً وتوارت خلف شخصية البطلة وحملت أفكارها ورؤاها وأدارت بوساطتها دوائر الفعل السردية في النص وتنوّعت أساليب السرد في الرواية تبعاً لطبيعة الأفكار المطروحة في الرواية ودواعي استدعائها والحالة النفسية للساردة والتي سيتمّ وصفها أدناه وإليكم بالإيجاز.

٤-١- الساردة المراقبة:

إنّ دخول الساردة في سرد الرواية وحضورها معقد للغاية؛ فهيتفسر وتتداخل في الممارسة السردية في مجال الأنا المرويّة في الرواية. قد تتدخل الساردة أحياناً إما بسبب قلّة المعرفة التي كانت لدى

الداخلية. «يضحك فيظهر سنه الذهبي الذي ركبته له طبيب شاب يظل يذكره بالخير يقول: «الله يسعده ويحميه أينما كان. تعلم في جامعة القاهرة وفتح عيادة أسنان في حيفا» (المصدر نفسه: ١٢٠)

رواية الطنطورية مليئة بالكلمات الوظيفية تدل على الإحتمال مثل «كأن، ربما، يكاد، مثل وما إلى ذلك» التي تعبر عن قلة معرفة الساردة البطلة فتجعل الساردة حكمها غامضاً باستخدام «كأن وربما» وغيرها من عبارات تدل على الإحتمال، فلم تقدم في النموذج التالي، صورة واضحة عن مشاعرها من أجل إضافة حالة التعليق والإرجاء: «استيقظت فجراً كأنني صببت ساعة منبهة. نبهتني فكرته أو صورته أو ربما خوفي من اللقاء به. هل يمكن أن تعود الأمور إلى ما كانت عليه؟ كيف نعيدوها؟» (المصدر نفسه: ١٣٤). تستخدم الساردة في النموذج أعلاه جملاً فيها الأسئلة لأن تنتقل تعليقها وحيرتها إلى المستمع، مما يجعله أن يصطحبها في بطن الرواية، مما تخلق في نفسه ترقباً وتوقعاً وقلقاً وحسداً لما سيأتي. في مثل هذه الحالة، يشعر القارئ بالتعليق والساردة المرتبكة والمتحيرة تبحث عن حل وتجذب القارئ أيضاً إلى مشاعرها.

تعتمد صورة الساردة بشكل أكبر على المظاهر الخارجية ولا تتعارض مع الأحكام والتقييمات الداخلية للشخصيات، عندما تنكر والدة رقية موت زوجها وطفليها، بينما تعتبر نساء أخريات أنها مجنونة، فتسرد هذه المحادثة دون أي تحيز أو حكم: «همست إحدى النساء أن أم صادق فقدت عقلها. أجابت أخرى: غريب عجب، إنها عاقلة راشدة فيما عدا موضوع زوجها وأولادها» (المصدر نفسه: ٦٣) إن افتقار الساردة إلى التحيز والإجفاف غير المعقول يمنح القارئ إحساساً بالأمان والهدوء، لذلك يقبل بسهولة الرواية ويرافق الساردة إلى نهاية روايتها.

يجب القول إن الساردة الداخلية، على الرغم من محدودية المعرفة، موثوق بها، ولم تسرد من أي مكان من الرواية فعلاً أو خطاباً أو سلوكاً ينتهكه في مكان آخر، حتى أنها تبلغ عن أخطائها الفكرية للمروي له؛ عندما تنصح أبنائها بالدراسة بهدوء، لتحقيق مستقبل جيد، تطرح أيضاً ما يقول زوجها رغم ما يتعارض مع رغباتها عندما يقول زوجها هل يكون من المعقول أن أطفالنا هم من أجل المستقبل وغيرهم من الأطفال يقتل دفاعاً عنا؟ تعلن حقيقة فكر أمين، ولكن بكل إخلاص تروي نداء قلبها بأنه لا يسمع صوت أمين الإنساني: «حجلت من نفسي. كأننا نقول أولادنا للمستقبل وأولاد المخيم للدفاع عنا، حتى الموت إذا اقتضى الأمر، كلام أمين يطن في أذني. أقول

لِنَفْسِي إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ، وَلَكِنْ قَلْبِي لَا يَسْمَعُ الْكَلَامَ». (المصدر نفسه: ١٧٥) كما هو واضح أنّ الساردة تتحدّث إلى المستمع والمروي له دون أيّ تستر حول أنّها كيف تجعل شعورها الأمومي، مصالحتها الخاصة ومصالحتها الشخصية على المصالح الوطنية، فإنّ هذا التصرف الأمومي يبادر إلى ذهن القارئ إذ إنّها ليست محيرة للعقل، لأنّ البشر غالباً ما يواجهون مثل هذا التوتر والصرع عند ترجيح مصالحهم الخاصة على مصالح الجمع. إنّ التعبير عن المحتوى بشكل واضح وبلا لبس يحفز القارئ على التماهي مع الساردة.

٣-٤- الأنا الشاهد:

لا تقتصر رضوى عاشور عملية السرد على شخص واحد (الساردة = البطلة) بل تُشرك شتى الشخصيات في أسلوبها السردية بعدة طرق، وببراعة وأناقة وتعتزل عن الرواية وتراقب سرد الشخصيات. يسرد عزالدين هو إحدى شخصيات الرواية في إطار الأنا الشاهد وبحضور الساردة البطلة، بعيون مراقبة ومحدودة، عن أحداث صيدا: «حكى لي عزّ مُطَوِّلاً عما يحدث في صيدا: الخطف والقتل، والجثث المشوهة التي يجدونها بالقرب من عين الحلوة، المية مية و في قلب مدينة صيدا، يُلقون منشورات بتوقيع «ثوار الأرز»^١ تطالب الأهالي بطرد الغرباء الإرهابيين الذين قهروا لبنان وتسببوا في خرابه». «لن نسمح بوجود الفلسطينيين على أرض لبنان...» (المصدر نفسه: ٢٦٠). الشعور بالقدرة على تحمل المعاناة والمقاومة التي تسردها الساردة عن شخصية عزالدين، توقظ الروح الملحمية والمقاومة في القارئ وتجعل أساسه المعرفي أن يثبت ويقاوم في طريق الحرية، إذ إنّ الرواية المصدّقة يجد القارئ نفسه في موقف الشخصية.

تضع في النص التالي، الساردة نفسها جانباً وتعتزل عن الرواية تشاهد رواية إنها حسن. وعلى الرغم من أنّ حسن ليس طرفاً فاعلاً في هذه المرحلة من السرد، فإنّ العيون الحادة هي التي تروي الأحداث بتركيز خاص، تجدر الإشارة إلى أنّه في عملية السرد لأننا الشاهد، لا يتمحذف الساردة الرئيسة من الرواية، بل يشهد على سرد الرواية من على لسان بقية الشخصيات، بما في

^١-تشكّلت ثورة الأرز التي اندلعت في وقت سابق في عام ٢٠٠٥ مع آمال الغرب بالديمقراطية الغربية في لبنان، والتي تتعارض مع مصالح الولايات المتحدة وحلفائها وصارت مقاومة حزب الله، على عكس ما كان متوقعاً وأصبح حزب الله منتصر هذه الثورة وتولّى زمام الحكم فيما بعد (<http://alafkar.net/>)

ذلك حسن: «حطّموا أثاثَ المركزِ والأجهزة في غرفةِ المطالعةِ: آلاتَ الكتابةِ وآلاتَ التصويرِ وأجهزةَ قراءةِ أفلامٍ وتركوا المكانَ مُدَمَّرًا بشكلٍ كاملٍ» (المصدر نفسه: ٣٧١). إنّ الأعمالَ المتوترةَ والتصرّفاتَ البغيضةَ التي ترويها الساردة من إسرائيل يتعقّبها غضب القارئ، مما يحفز على قوة إرادته وينهض من مأزق الإحتلال. يمكن القول إن رضوى عاشور قد كشفت للقارئ عن طريق وهو تغيير الساردة في هذه الرواية وكذلك مهارتها الأدبية والفنية ومهمتها هي التأثير على القارئ.

٤-٤- الأنا السارد الضمني:

غياب المؤلفة في القصة هو ظهور "الأنا السارد الضمني". الأنا، التي تخلف الكاتبة، في هذه المرحلة، يبدو أنّ الساردة الرئيسة قد تمّ إقصاؤها من الرواية، وتقدّم ساردة أخرى لمصدر روايتها وتحكي الرواية بلسانها. الأنا السارد الضمني الذي يعدّ جزءاً من شخصيات الرواية، فهي ذات منظر ضيق ومغلق. كما تبدأ وتنتهي الفصلين ٢٧ و ٢٨ من الرواية مع سرد عبد. عبد هو أحد الشخصيات الرئيسة في الرواية الذي يروي إعتقاله للمروي لهفي إطار ضمير المتكلم (النحن). تختفي الساردة من أحداث الرواية لفترة من الوقت في براعة السردية لأنّ الأنا السارد الضمني، على عكس أنا الشاهد، بينما تروي الشخصيات بشكل مستقل: «عندما تمّ الاتفاقُ على رحيل المقاومة من لبنان، تركوا الخيارَ لشبابِ الثمانية والأربعين الذين تُقيمُ أسرهم في لبنانَ ويحملونَ وثائقَ سفر لبنانية قالوا بإمكانكم أن تبَقُوا إن أردتم أو ترحلوا» (المصدر نفسه: ٢٣٨).

أما منعطف آخر للساردة (الأنا السارد الضمني)، بالنسبة إلى أبي محمد، فهو عمّ رقية. يروي أبو محمد، في الفصل ٣٨ من الرواية، الأحداث التي شارك فيها بنفسه بطريقة المنولوج (السرد المناجاتي) وفي ترتيب زمني منتظم للقارئ. ويعبّر عن مشاعره. كما هو واضح، فإنّ منولوج السارد مباشر وليس للكاتبة أو الساردة الرئيسة أيُّ دور في خلقه. تريد الساردة الرئيسة أن يفهم القارئ أنّها ليس لها أي تأثير على مسار الرواية: «كنتُ بينَ الأربعينَ الذين أوقفوهم عندَ الحائطِ. لم أعد أذكرُ إن كنتُ نَطَقْتُ بالشهادتينِ وسلّمت أمري لله أم كنتُ مُتَشَبِّهًا بأنَّ الله قادرٌ على كلِّ شيءٍ يبدلُ من حالٍ إلى حالٍ» (المصدر نفسه: ٣٠٠) وصف لحظات الشك والوحدة وانتظار أبي محمد المملّحة إعدامه وعدم قدرته على تذكّر الشهادتين يلعب دوراً فعلاً للغاية في ذهن

القارئ. يرى القارئ أبا محمد في موقف ليس لديه خيار سوى العوذ بالله. وهذا العوذ واللجوء هنا يعني الخلاص من المعاناة والأفكار المترتبة فيها التي تدخل في عقل الشخصية وأفكارها في وقت واحد، وعندما يكتشف القارئ أن أبا محمد يرتاح بتوكل على الله، فإنه يرتاح أيضاً، ويفوض مصيره إلى الله.

أبو محمد يسرد اللحظة الصعبة لقرار الإعدام بضمير المتكلم (النحن) في إطار الأنا السارد الضمني. حكاية أبي محمد عن عدد الأشخاص متشككة، إلا أنها من سمات السرد بضمير المتكلم (النحن) ومظهره الخارجي الذي يدلّ على قلقه وإرتباكته: «ساقونا تحت تهديد السلاح إلى الشاحنات، نحن الأربعة الذين كان مقرراً إعدامنا عند الحائط حشرونا في الشاحنات حشراً كالأغنام. كنا عدة مئات ربما ثلاثمائة رجلٍ وربما أربعمائه» (المصدر نفسه: ٣٠١).

٤-٥- الأنا المونولوج:

الف) المونولوج الداخلي: ينص تعريف المونولوج الداخلي هو الحوار الأحادي الداخلي أو أن التعبير غير المجاب وغير المفكر للفكر، يتبادر إلى الذهن فور حدوثه. أو خطاب طويل تفضي به شخصية واحدة وليس موجهاً لأشخاص آخرين أو مخاطب (ميرصادقي، ١٣٨٢: ٥٠٧). وفقاً للتعريف المقدم من المونولوج الداخلي، يجب الاعتراف بأن مونولوجات رواية الطنطورية ليست داخلية. إذ إن مونولوج الرواية لها مخاطب أو المرؤي له؛ فإن الساردة تقدم قصتها مراراً وتكراراً للقارئ وتذكر أنها بسبب الإصرار المستمر من جانب حسن إنها كتبت أحداث فلسطين وهذه القصة كتبت لابنها: «حسن هو الذي اقترح كتابة حكايتي؛ أكتب ما رأيته وعشته وسمعته» (عاشور، ٢٠١٠: ٢٠٤).

إن فكرة تسجيل الأحداث لا تتخلى حسن ولو لفترة وجيزة، فيتوقّر دفترًا ويكتب عنوان «الطنطورية» لتشجيع الأم على الحكى عن الأحداث. ويحثها على تصوير التقاليد والعادات و حكايات طفولته، وإعطاء إشارات موجزة للكوارث الفلسطينية، حيث لا توجد حاجة كبيرة للمخاطب (حتى في القرون القادمة) بعد ذلك، يمكن أن يبحث عن الحقيقة وتصفح مكتب المقاومة: «بعد سنواتٍ عادَ حسنٌ للإلحاح عليّ، ثم فاجئني ذاتَ مساءٍ بدفترٍ كبيرٍ كُتِبَ على غلافه عبارة "الطنطورية" وقال: اكتبني أيّ شيء، أكتبني عن بلدنا، عن البحر، عن الأعراس، أعيدي

بعض ما حكيمته لنا ونحن صغاراً، أما الكوارث فاكثرت منها ما تُطيقين، والإشارة حتى الإشارة قد تفي بالعرض» (المصدر نفسه: ٢٠٦). كما يتضح من النص، تظهر شعور الوطنية لحسن وإهتمامه بالمدينة وبلده في عيون القراء. ويدرك القارئ هذه الشعور لحسن من خلال النصوص السردية والممارسات التي اتخذها من أجل الحرية وتسجيل شجاعته.

رقية، التي ترى إصرار السارد، تبدأ سردها بكل صعوبة ومكابدة وتفشل عدة مرات؛ لكنّ النية الحسنة وأهمية تسجيل الأحداث تعيد روح الأمل إلى الحياة. بالإضافة إلى الساردة الرئيسة للرواية، التي تسرد قصتها لمخاطب داخل الرواية أي المرؤي له (حسن)، يسرد ويحكي كل من الساردين (الثانويين) بقصتهم الخاصة لمخاطب معين. في رواية عبد، الذي يمتد من الصفحات ٢٣٨ إلى ٢٥٥، يعرف مخاطبه للقارئ بعبارة "العزيزين صادق حسن" (المصدر نفسه: ٢٤٦). وبالتالي، فالمونولوج الساردين لا يوضع أيضاً في مجال المونولوج الداخلي لأن يتوفر المجال للقارئ أن يتعود على تقنية تيار الوعي: «العزيزين صادق وحسن... هذه هي الصورة التي تمكنت من تجميع أجزائها عما حدث في مستشفى عكا يوم الجمعة السابع عشر من أيلول» (المصدر نفسه: ٢٣٨). إنَّضح أنَّ السرد في رواية الطنطورية لا يخلو من المخاطب أو المرؤي له، لذلك لا يمكن اعتباره المونولوج الداخلي. الآن السؤال الذي يطرح نفسه ما هو نوع المونولوج في الرواية؟

ب) المونولوج المسرحي: يعد المونولوج المسرحي أكثر حضوراً في مجال الشعر والدراما، لكن المؤلف المعاصر، بما في ذلك رضوى عاشور، لا يقتصر على تقنية سردية واحدة بل يجرب كل تقنيات سردية. يعد الوجود المنظور الموضوعي والمخاطب (المرؤي له) واحد من أهم مميزات المونولوج المسرحي (مى صادقى، ١٣٨٢: ٤١٤). في رواية الطنطورية، أيضاً، المثير الداخلي في نسيج السرد، فله وجهة نظر محدودة وموضوعية ومادية لتركيزه على السرد، وعلمه على قدر علم شخصيات الرواية. ووجود الحوار والمحادثة والمرؤي له داخل نسيج الرواية (حسن) قد عزز هذا الجانب المسرحي للنص، مما جعله فرصة مثالية للمونولوج المسرحي عند رقية وغيرها من الساردين داخل القصة. تحكي الساردة عن رأيها للبقاء في بيروت: «في المستقبل سأأمل الأمر طويلاً. أتساءل لِمَ لم أرحل؟! هل كنت ورثت عن عمي أبو الأمين الشعور بأنني لست غريبة... ربما كنت غير راغبة في الابتعاد أكثر. كأن شاطئ بيروت يقودني إلى شاطئ بلدنا.» (عاشور: ٢٦٢). الساردة تبت الشكوى في هذا المقطع، للمرؤي لها وتعتبره صديقاً وفيّاً ومتعاطفاً لنفسها. إنَّ

استخدام الأسئلة والغموض والريب الذي تعبّر عنه الساردة من وجهة نظرها الخاصة، يشير أيضاً شعور التعليق عند المرؤي لها، فتشوقه فيسأى رها لأشياء يشاركها في خلق الرواية.

حاولت المؤلفة عرض قصة اعتقال «أبو محمد» من قبل إسرائيل. تروي الساردة الحادث بشكل موجز لمرة واحدة وتوفّر السياق مرة أخرى لأتحدث أبو محمد ويخبر قصة الاعتقال حتى يتمكن المخاطب من فهم معنى السرد ومغزاه وظروفه المعنوية بوضوح وجمال، لأنّ الدقة في الفهم السردية تعتمد على الدقة في الوصف والصورة بحيث يمكن للأحداث أن تدخل عالم الإبداع بهوية جديدة وخالدة، مما يتيح للمخاطب أكبر قدر من القدرة والعلم على فهمه: «خرجت من المعتقل بعد عام ونصف. كنت مَحْظُوظاً بعد الشهرين من خروجي من المعتقل ووجدت أهلي وكانوا في دمشق. كانوا في وضعٍ قاسٍ جداً ولكنهم كانوا جميعاً أحياء، أمي وأبي وأخواتي الأربع والولدان الصغيران... لم يمُت أيّ منهم لا في المجزرة ولا من الجوع والرحلة الشاقة...» (المصدر نفسه: ٣٠٥). يستخدم السارد هنا تقنيات صياغية ولغوية للتعبير عن مشاعره والتعبير عنها في هذا المقطع، حيث يستخدم كلمات لا تحمل أي شعور بتضرع و التماس وإلحاح - التي يستخدمها الأشخاص العاديون في المحادثات اليومية - بدلاً من ذلك، يستخدم كلمة قوية وصلبة تستحق الملحمة والكفاح. فلماذا السبب، مع إطلاق سراح «أبو محمد» وسعادته في صحة الأسرة، على الرغم من المشاكل، فإنّ القارئ سعيد أيضاً، ونتيجة هذا الإحساس لدى المخاطب يؤدي إلى تقليل المسافة بين السرد والقصة.

الساردة غير قادرة على الدخول في الشؤون الداخلية للشخصية ومكوناتها النفسية، وفي النموذج التالي تمارس الساردة بتبئير شخصية مريم من المنظور الخارجي والموضوعي للمرؤي لها (حسن): «فاجأتني مريم فاجأني أنّها وهي في الخامسة عشرة من عمرها لم تعد طفلة، كانت امرأة قوية ووجدتها تقف بجواري وتُعني لي بعض أبيات الأغنية بصوت خافت» (المصدر نفسه: ٣٨٧). تسرد الساردة من خلال منظور موضوعي وجسدي وسلوكي، روايتها للمرؤي لها الداخل السردية والقارئ.

٤-٦- الساردة بضمير الخطاب:

في ما يلي، تعود الساردة من الساردة بضمير الخطاب إلى الساردة بضمير المتكلم وتعلن حضورها؛ وتمّ التغيير في العرض القصصي من الساردة بضمير الخطاب في «يرتبك»، إلى الساردة بضمير المتكلم في «لأنني لا أعرف» ببراعة ويتمّ الاستفادة من الضمير "أنت" وتغييره إلى الضمير "أنا" بهدوء ومهارة لدرجة أنه يبدو أنّ المرؤي له شخص آخر غير السارد ومن الخارج عن نسيج القصة. الساردة المراقبة تخاطب طفولتها (المروية) وتقول: «هنا تتعثّر الجملة ويرتبك الكلام لأنني لا أعرف كيف يمكن تلخيص ما عشناه في تلك السنوات». (المصدر نفسه: ١٨٤). إنّ الإستخدام الفني للأزمنة الثلاثة (الحاضر والماضي والمستقبل) - وهو ما يميز السرد بضمير الخطاب - جعل الأحداث التاريخية تأتي حية وحيوية في الرواية ولمسها المرؤي له جيداً.

خامساً-النتيجة:

مما تتميز رواية الطنطورية هي تأرجح الساردة؛ في هذه الرواية، تعتبر الساردة مرنة وتتغير مع كل فصل من الرواية. تسعى الكاتبة من خلال تذبذب الراوي، وفوضى الشخصيات وتشويشها أن توصل صوتها إلى المخاطب، بحيث يصبح القارئ عالقاً ومتحيراً في تعقيدات الرواية. استخدمت المؤلفة مجموعة متنوعة من وظائف الساردة الداخلية (الساردة المراقبة، الساردة البطلة، وأنا الشاهد، والساردة الضمنية، والسارد بضمير الخطاب) في سردها وهذا التنوع جاء تبعاً لطبيعة الأفكار المطروقة في الرواية و الحالات النفسية للساردين.

تمّت عملية السرد في جزء كبير من الرواية بالسرد بضمير المتكلم. يتجسّد السرد بضمير المتكلم بسبب الإسترجاع والمسافة الكبيرة بين الرواية والقصة بطريقتين: في البداية رقية التي تفكر بمنطق المرأة الناضجة، البالغة من العمر ستة وستين عاماً التي تعرف التفاصيل والحقائق، والثانية رقية، فتاة صغيرة في الثالثة عشرة من عمرها والتي لا تعرف إلا ما يسمح لها عمرها الفتى وخبرتها القليلة بمعرفتها. الساردة الأولى هي الساردة المراقبة والثانية هي الأنا المرؤية.

هناك بون شاسع بين الساردة المراقبة والأنا المرؤية بسبب خبرتهما وعمرهما. تتداخل الساردة المراقبة في سرد الأنا المرؤية تقطع السرد وتنقلنا للحظات من زمن القصة في الماضي إلى زمن السرد لنسمعها وهي تتذكّر. جعلت معرفة الأنا المرؤية المحدودة تقترب من حيث المظهر أو الموضوعية أو التصرف إلى شخصيات الرواية و تعجز عن اقتراب إلى الشؤون الداخلية للشخصيات. الساردة

استناد: عباسی، نسرین؛ عبدی، صلاح الدین. پاییز و زمستان (۱۳۹۸). کارکرد راوی در رمان بر اساس دیدگاه ژرار ژنت (به زبان عربی). مطالعات روایت شناسی عربی، ۱(۱)، ۱۵۵-۱۲۹.

مطالعات روایت شناسی عربی، پاییز و زمستان ۱۳۹۸، دوره ۱، شماره ۱، صص. ۱۵۵-۱۲۹.

دریافت: ۱۳۹۸/۱۰/۲۱ پذیرش: ۱۳۹۸/۱۱/۱۹

© دانشکده ادبیات و علوم انسانی دانشگاه خوارزمی و انجمن ایرانی زبان و ادبیات عربی